الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس –مستغانم-
كلية الأدب العربي والفنون
قسم الدراسات اللغوية و الأدبية

الموضوع:

صورة الأمير عبد القادر عند الألمان و الإنجليز و الفرنسيين

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الأدب مقارن و عالمي

تخصص:أدب مقارن وعالمي

إعداد الطالبين:

حميدة حياة

معروف فاطمة الزهراء

إشراف الأستاذ:

بوغازي عبد الحكيم

السنة الجامعية :2022-2023

الإهداء

الى أعز الناس إلى قلبي إلى والدتي العزيزة ووالدي العزيز اللذان كان عونا وسندا لي وكان لدعائهما المبارك أعظم الأثر في تسيير سفينة البحث حتى ترسوا على هذه الصورة

الى من ساندتني وخطت معي خطوات بحثي زميلتي حميدة حياة.

إلى أساتذتي وأهل الفضل عليا الذين غمروني بالحب والتقدير والنصيحة والتوجيه والارشاد.

إلى كل هؤلاء اهديهم هذا العمل المتواضع سائلا الله العلي التقدير ان ينفعنا به ويمدنا بتوفيقه.

معروف فاطمة الزهراء

الإهداء

الحمد لله الذي وفقنا لهذا ولم نكون لنصل اليه لولا فضل الله علينا أما بعد،

أهدي هذا العمل:

إلى نبع الحنان وسري الامان التي حملتني وهنا على وهن أنارت حياتي

بضيائها " أمي "

إلى الذي نمى جذوري في ارض العلم وساعدني في مسيرتي " ابي الغالي".

إلى روح إخوتي وأخواني الطاهرين أوهير، مروى، ياسين، سهيلة.

وا إلى أغلى وأحلى صديقة التي رافقتني طيلة مشوار الدراسي معروف فاطمة

الزهراء.

حميدة حياة.

شكر وعرفان

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا من سيئات أعمالنا من يهده الله فلا فضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله.

أما بعد

نتوجه بالشكر الكبير الى الدكتور بوغازي عبد الحكيم الذي كانت جهوده مخلصة في مساعدتنا لإنجاز هذه المذكرة واخراجها، فتعلمنا منه الجدية والإخلاص والاعتماد على النفس الذي هو أساس العمل.

فمنا أسمى العبارات والاحترام والتقدير وجزاه الله بالخير والبركة.

المقدمة

لقد أسس الأمير عبد القادر دولة قوية ونظم جيشا وطنيا وقف في وجه أكبر دولة في العالم مما جعلهم يفقدون السيطرة على البلاد فاعتمد هؤلاء الغازات إلى تفتيت الوحدة الوطنية التي أسسها الأمير تحت راية "الله أكبر" لمدة سبعة عشر عاما وهي مدةحكمه، و أن مواقف الأمير من القضايا العربية والإسلامية تختلف عن موقفه من القضايا الجزائرية لأنها كانت بالنسبة له العملية الاكثر وجعا في حياته.

على هذا الأساس حصل الأمير عبد القادر على بيعة شعبية وشرعية مكنته من الحصول على الحق الشرعي في الدفاع عن الجزائر والجزائريين.

وكان للأمير مكانة خاصة أيضا عند الألمانيين والإنجليزيين بفضل صور ة المميزة التي رسمها على شخصيته العظيمة التي تحدث عنها عده شخصيات أجنبية من بينه: الكولنيل الانجليزي اسكوب والمؤرخ البريطاني تشرشل. قالوا عنه نأه أعظم الشخصيات في العالم الاسلامي و أعجابنا بشجاعته.

ولهذا يمكننا القول أن الأمير عبد القادر هو رجل مكانه ويتحمل المغامرة والتضحية من أجل وطنه.

طرح الاشكالية

وعليه يمكننا صياغة الإشكالية الخاصة بهذا الموضوع كالتالي:

- كيف نظر الألمان والإنجليز والفرنسيين لفكر الأمير عبد القادر؟
- ما هي صور ة الأمير عند الألمان والإنجليز والفرنسيين؟

ومن الدواعي التي جعلتنا نختار موضوعنا هذا وهو صور ة الأمير عبد القادر عند الإنجليز والألمان والفرنسيين كونه رجل دولة ودين نبيل الأصل بطلا من أبطال الجزائر وعظيما من عظماءه. ابن بيئة دينية محافظة قائد جيش منظم وادار ة محكمة وعادلة. شاعر وكاتب ذو سمعة في العالم كمجاهد وعالم وشريف مما أدى الى فتح أو صدور عنه عدة دراسات وكتبت عنه المقالات الصحفية وكانت تصله الرسائل والأخبار وقد ازدادت هذه السمعة في الوطن الغربي والإسلامي فقد وردت عليه رسائل التقدير وقصائد المدح والثناء مما جعله محط أنظار العالم.

بما أن طبيعة الموضوع وحجم المعلومات المتوفرة هما المتحكمان في المنهج المتبع وبما أن الموضوع يكتسي طابقا تاريخيا وصفة سياسية.

إن مسار هذه الدراسة في سبيل الإجابة على الاشكال الخاص والأسئلة المطروحة مع محاولة إثبات صحة او دحض الفرضيات السابق الإشارة اليها فرض علينا ضبط الموضوع ضمن حلقات متسلسلة مترابطة ومتكاملة استوجبت إتباع خطة بحث اشتملت على مقدمة عامة للموضوع ثم طرح اشكالية الموضوع والدافع إلى اختياره بالإضافة إلى ثلاثة فصول وخاتمة عامة تتضمن أهم النتائج المتواصل اليها من البحث:

الفصل الاول: صورة الأمير عند الألمان

سوف نتطرق فيه إلى إهتمام الألمان بالجزائر شاملة لكل النواحي السياسية، الأدبية، التاريخية ملمة بكل ما تحمله الجزائر من جبال و أنهار ومساجدها وطبيعة مناخها وصور و الأمير عند موريس فاغنز.

الفصل الثاني: صورة الأمير عند الفرنسيين

سنسلط الضوء خلاله على موقف الإجليزي و العلاقة بين الجزائر والإنجليز وموقفهم من الأمير عبد القادر ووضع الأسس للأسرة نذكر "الدوق ماريور" و "راندولف تشرشل"، دون أن ننسى المساعدات التي كانت تقدم اليه من أسلحة وذخيرة.

الفصل الثالث: صورة الأمير عند الإنجليزيين

يتناول هذا الفصل الحياة اليومية للأمير عبد القادر مع الاستعمار الفرنسي في كل الظروف الصعبة والقاسية خلال السنوات العديدة من إعتقاله إلى تأسيس دولةالجزائر الى مقاومته واعتدائه للفرنسيين وتدعيم سلطته عليها وإبراز مكانته الممتازة من خلال مقاومته الاحتلال وحبه لوطنه ونختم الموضوع في الأخير بخاتمة عامة إشتملت على ما توصل إليه البحث ومن نتائج أجملها في إنه علينا جميعا كباحثين أن نعلم جليا أن الأمير عبد القادر له علاقات في العالم الغربي والعالم بأسره نذكر وعلاقاته مع الألمان ثم الإنجليزي ثم الفرنسيين.

بذلك استخلصت مجموعه من المصادر والمراجع نذكر منها ما يلي:

- الأرشيف الفرنسي لقد حاولنا جاهدين الحصول على وثائق تخدم الموضوع ولقد وفقنا في ذلك والحمد لله.
- كتاب حياة أمير عبد القادر تأليف تشارلز هنري ترجمة أبو قاسم سعد الله موسوعة أعمال الدكتور أبو قاسم سعد الله طبعة خاصةوزار ة المجاهدين.
- كتاب الجزائر في المؤلفات الرحالين الألمان 1830-1855 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1975.
- المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية ترجمة كتاب عبد القادر لجوستاف دوغا انموجا.
- صور ة وشخصية الأمير عبد القادر الجزائري من خلال شهادات بن العربية محمد، المجلد الثاني العدد 2 ماي 2021.
- صور ة الأمير عبد القادرفي كتابات الألمان لموريتش فاغنز وكارل بير ت موقع binbadis.net.

المدخل

-تمهيد :

الأمير عبد القادر

عبد القادر الجزائري،أمير يشار إليه بالبنان فاسمه بحد ذاته مدعاة للفخر، فهو أمل للجزائريين، العالم مجاهد، ومقاوم شاعر، بايعه الجزائريون عام 1832 أميرا لمقاومة المستعمر الفرنسي .مرت حياته بثلاث مراحل أساسية، الأولى قضاها في طلب العلم والتعرف على أوضاع البلدان العربية في طريق الحج، والثانية عاشها في الجهاد ومقاومة العدو، وقضى الثالثة أسيرا في فرنسا ثم مناضلا محتسبا في دمشق.

المولد والنشأة

ولد الأمير عبد القادر سنة 1807 في قرية القيطنة بولاية وهران الجزائرية.

الدراسة والتكوين

تلقى تعليمه الأولي بالزاوية التي كان يشرف عليها أبوه محي الدين شيخ الطريقة الشاذلية، وانتقل بعد ذلك إلى مدينة وهران، فتلقى عن عدد من علمائها أصول العلوم، كالتاريخ والفلسفة والرياضيات والأدب العربي وعلم الفلك والطب وغير ذلك.

2-التجربة السياسية

اصطدم والده محي الدين بالحاكم العثماني لمدينة وهران، فوضعه تحت الإقامة الجبرية في بيته، وفي عام 1825 سمح له بأداء فريضة الحج فخرج وابنه عبد القادر.

زار عبد القادر خلال تلك الرحلة العديد من الدول العربية بداية من تونس ثم مصر فالحجاز وصولا إلى بلاد الشام فالعراق التي زار فيها ضريح عبد القادر الجيلاني مؤسس الطريقة القادرية التي تضم الزاوية التي كان يشرف عليها والده.

بعد ذلك مر على الحجاز، وفي عودته إلى الجزائر عرج على مصر وطرابلس واستقر في قريته (القطنة)، ومكنت الرحلة عبد القادر ووالده من الابتعاد عن سيطرة حاكم وهران الذي كان متخوفا من النفوذ العقائدي لعبد القادر ووالده محي الدين.

بعد عامين من ذلك تعرضت الجزائر للاحتلال الفرنسي في شهر محرم عام 1246 الموافق 5 يوليو/تموز 1830، وهي المرحلة الأهم في حياته لما حفلت به من تطورات خطيرة تتعلق بمواجهته للفرنسيين، فبعد أن اعتذر أبوه عن قيادة المقاومة الشعبية تولى هو قيادتها.

وبويع على الجهاد في رجب 1248 الموافق نوفمبر/تشرين الثاني 1832، وحصلت له البيعة العامة بمعسكر في 17 رمضان 1248، الموافق 4 فبراير/شباط 1833.

سارع لتشكيل حكومته ووضع أسس الدولة الجزائرية الحديثة، وجمع المتطوعين وكون جيشا قويا وحقق نجاحات أرغمت قائد الجيش الفرنسي في وهران "دي ميشال" على عقد اتفاق هدنه معه في 26 فبراير/شباط 1834.

وتنص الاتفاقية على هدنة أقرت له من خلالها فرنسا سلطته على منطقة الغرب الجزائري ومنطقة الشلف، لكن الاستعمار لم يلتزم ببنود المعاهدة وخرقها عدة مرات.

أجبر مرة أخرى الفرنسيين في 30 مايو/أيار 1837 على المفاوضات معه وا ٍمضاء معاهدة التافنة، التي تعترف بسيادته على الناحية الغربية والوسطى من الجزائر، والتي أمضاها الجنرال الفرنسي بيجو.

كرر الفرنسيون خرق الهدنة، ونهجوا سياسة الأرض المحروقة باستعمال أساليب وحشية في قتل الأطفال والنساء والشيوخ وحرق كلي للمدن والقرى المساندة له.

ولخص الجنرال بيجو تلك السياسة في تهديد موجه لرجال الأمير "لن تحرثوا الأرض، وا ٍذا حرثتموها لن تزرعوها، وا ٍذا زرعتموها لن تحصدوها"، وهي السياسة التي أدت إلى سقوط مدنه ومراكزه العسكرية، وأرغمته على شن حرب العصابات (1844-1847)

مع استمرار الضغط الفرنسي عليه لجأ إلى المغرب الأقصى أملا في دعم السلطان المغربي مولاي عبد الرحمن، لكن ضغوط الفرنسيين وتهديدهم باحتلال المغرب حال دون ذلك، فاضطر الأمير إلى إعلان استسلامه في ديسمبر/كانون الأول 1847.

فنُقِل إلى سجن بمدينة "بو" في الجنوب الفرنسي ثم في آمبواز بإقليم اللوار، لكن قرر نابليون الثالث فيما بعد إطلاق سراحه، فسافر إلى تركيا في 2 ديسمبر/كانون

الأول 1852، ومنها انتقل إلى سوريا واستقر بمدينة دمشق بداية من 1855، حيث درّس في المسجد الأموي وقبل ذلك في المدرسة الأشرفية وفي المدرسة الحقيقية.

احتضنت منازله وحمت أكثر من 15 ألف مسيحي بعد أحداث فتنة بين المسلمين والمسيحيين عرفتها دمشق عام 1860، وهو الموقف الذي كان محل إشادة عالمية.

3-شخصية الأمير الأدبية :

وقبل الولوج إلى الكون الشعري عند الأمير عبد القادر ، نرى أنه من المفيد أن نقدم لمحة مقتضبة عن شخصيته ، ومكانته ، مما يُسهم في نفض بعض الغبار على أفكاره ، ورؤاه التي ستنتصب لنا ، ونتصدى لها من خلال شعره.

إن الأمير عبد القادر واحد من الشخصيات الفذة التي ستظل الأجيال تذكرها على مر الأزمان، وهو مصباح من المصابيح الوهاجة التي قلما يجود الزمان بأمثالها، وبادئ ذي بدء نقدم هذا الوصف الشامل الذي أورده العلاّمة [1].

الدكتور ممدوح حقي في تقديمه لديوانه، والذي وصفه به ابنه الأمير محمد في كتابه (تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر)، إذ يقول عنه:

كان معتدل الطول، مليء الجسم، يعلوه رأس ضخم، يتوجه شعر كثّ متخضب بالسواد.يبرز من بين عينيه الشهلاوين أنف أقنى ، مطلّ على فم مطبق ، تموج فيه ابتسامة تطمع بحنان ناعم، وراءه حزم حازم ، يشع من عينين

[1] د.ممدوح حقي: من مقدمة ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، دار اليقظة العربية، بيروت،1965م، ص:11.

نافذتين كالكهرباء. يمشي مستقيماً ، ويقعد كالمستوفز ، وينهض بعزم، إذا ركب وثب إلى ظهر الجواد وثباً، وبقي إلى آخر أيامه يحب الخيل ، ويداعبها،ويُعنى بها، ولا يسيرإلا مزعاً وارقالاً. يصحو من نومه قبل الفجر ، فيصلّي الصبح حاضراً ، ويقرأ ورده المعتاد بصوت هادئ مسموع ، ثم يضطجع، فيغفو إلى ما بعد بزوغ الشمس ، وينهض ليملأ نهاره بعمل مستمر.

ولا يختلف اثنان في شجاعة الأمير عبد القادر، وبسالته الخارقة، فلا نعجب عندما يقترح عليه والده الشيخ محيي الدين قيادة الحركة الجهادية، فيُلبي مباشرة دون أي اعتراض على الرغم من حداثة سنه قائلاً: «إن واجبي طاعة أوامر والدي».

وقد كان الأمير حاكماً عادلاً، وفارساً مقداماً، وشاعراً خنذيذاً، وقائداً فذاً، فقال عنه العقيد الإنجليزي شارل هنري تشرشل متحدثاً عن شخصيته، وعن نظرة مواطنيه إليه: إنهم كانوا ينظرون إليه «بتقديس خرافي إلى رجل يتمتع بشخصية رسمية، ويتقدم بلا خوف دون أن يلحقه أذى حيثما هدد الخطر، فهو مرة يمرق من صفوف الرماة الأعداء ، ومرة يطلق النار في شكل تربيعي، ويكتسح حربات البنادق بسيفه، وأخرى يقف دون حراك مشيراً بامتعاض إلى قنابل المدافع وهي تئز حول رأسه ، وإلى القذائف وهي تنفجر حول قدميه. فكان الرجل قدوة في

الشجاعة والثبات مثل الحلم والعدل مع خصومه أسرى بين يديه ، فكان المحارب الموهوب[1].

فسجل له التاريخ في كل ذلك، وفي جهاده بشكل أخص مواقف بطولية أجبرت أعتى الجنرالات الفرنسيين على إبرام هدنات معه، واتفاقيات كان يستغلها بدوره للتدريب والتنظيم واستيراد السلاح من خارج الجزائر، فمضى على هذا النهج حتى كانت الفاجعة التي اضطرته إلى وضع السلاح، عام 1947 م بعد الخيانات والمؤامرات ، بشروط أخلّ بها المحتلون الفرنسيون.

4-التجربة الشعرية :

وقبل الولوج إلى عوالم الأمير عبد القادر الشعرية، تجدر الإشارة إلى أن الكثير من الباحثين الذين تصدوا لشعر الأمير بالدراسة والتحليل، يرون بأنه متباين من حيث قيمته، بتباين الأغراض، وبانتقال الأمير من موضوع إلى آخر. فهذا الأستاذ الأديب رابح بونار يرى بأن شعر الأمير تظهر عليه روح شعرية مقبولة في مواضيع الحماسة، والفخر، والتصوف، والغزل. وأما إنشاؤه في غير هذه الموضوعات فيبدو عليه التكلف، والإسفاف، والأغلاط النحوية، وضعف الخيال، وفتور العاطفة.

وفي دراسة الدكتور فؤاد صالح السيد أكد على أن شعر الأمير عبد القادر من الناحية التاريخية ارتبطت كل مرحلة منه بفن معين من الفنون الشعرية، إذ يرى أن شعر الفخر والحماسة هو أوثق صلة بحياة الأمير من شعر الوصف،

[1] د.عمربن قينة: دوخ جنرالات فرنسا، ودوخته أم البنين: مقال منشور في مجلة الفيصل الأدبية، المجلد الرابع، العددان الثالث والرابع، جمادى الأولى-رجب1429هـ/2007م،ص:87 ومابعدها

ويُرجع ذلك إلى أن أشعاره في الفخر والحماسة هي انعكاس مباشر، ونتيجة لمعاناته في حروبه، وهي تعبر عن تجربته الحربية.

ومن الناحية النفسية رأى أن الأمير ارتاح لبعض الفنون الشعرية أكثر من غيرها، وهذا يعود إلى الجو النفسي الذي مرّ به الأمير في كل مرحلة من مراحل حياته، وقد ضرب مثلاً بشعره الصوفي، ومساجلاته مع شيخه محمد الشاذلي القسنطيني، فهو الأقرب كما يرى الباحث للأمير أثناء أسره بالأمبواز في فرنسا.

أما شعر المدح الأدبي فقد كان الأكثر صلة به أثناء وجوده في دمشق.

5-أغراضه الشعرية :

كما سبق وأن أشرنا فالأمير عبد القادر لم يكن الأمير عبد القادر رجل سياسة وجهاد، وشجاعة فحسب، بل كان أيضاً رجل فكر وعلم، وأدب ، عُرف بعكوفه على القراءة، واجتهاده الكبير في سبيل التحصيل العلمي، حيث إنه اطلع على الكثير من الكتب الفكرية العالمية مترجمة ، كما راز في التراث الشعري العربي بدءاً من العصر الجاهلي، حتى العباسي، وحفظ عشرات الأبيات لفحول الشعراء، وهذا ما جعل منه مؤلفاً، وكاتباً، وباحثاً، وشاعراً فذاً .

إن المتتبع لتجربة الأمير الشعرية يُدرك أن الشعر قد لازم الأمير طوال حياته، وكان يحلُ معه حيثما حلّ ، وكان أنيسه وصاحبه أيام الفرح والقرح، وفي ليالي الشجن والسرور، ورافقه عندما أضحى أسيراً في فرنسا، وبعد ذلك في تركيا، وفي المدينة المنورة، ومكة، وفي دمشق، وغيرها من الأصقاع التي أبدع فيها الأمير قصائده العذاب..

أولا : الفخر والحماسة :

يجمع الكثير من الدارسين لشعر الفخر و الحماسة عند الامير على أنه ينقسم إلى قسمين رئيسين: الفخر الطبيعي(الفطري)، والفخر الوضعي(الاكتسابي)، ويرون بأنه أحد أهم الفنون الشعرية التي عالجها الأمير في ديوانه، وذلك لارتباطه بنضال الأمير، وبطولاته، وحماسته، والتزامه بقضايا أمته، وفي مقدمتها قضية التحرر، والخلاص من المستعمر الفرنسي.[1]

ومن جانب آخر فلا نستغرب من استكثار الأمير للفخر والحماسة،فهو ابن عائلة شريفة، ذات حسب ونسب، عظيمة الشأن، فهو ينتمي إلى«الدوحة النبوية الشريفة، فهو من الفرع الحسني، الذي يستمد قدره من رسول الله-صلى الله عليه وسلم- من هنا كانت حتمية تقديم الولاء والطاعة لهذه الدوحة النبوية، وطلب الشفاعة النبوية، وبذلك يؤمن المرء لنفسه الاستقرار الروحي والنفسي:

أبو ُ نا رسول ُ الله خير ُ الورى طُرا فمن في الورى يبغي يطاولنا قدرا

ولالًا دينًا وفرضاً م ُ حَ تماً على كل ذي لب به يأمن ُ الغدرا

ويكتفي الأمير بهذا الفخر عن كل منصب، وعن كل رتبة دنيوية، لأنه لا مجال للمقارنة والمفاضلة بين فخر وفخر، خصوصاً إذا كانت المقارنة والمفاضلة بين فخر نبوي شريف، وبين فخر مادي دنيوي.

وحسبي بهذا الفخرِ كُل منصبٍ وعن رتبة تسمو وبيضاء أو صفرا».

[1] د.فؤاد صالح السيد:الأمير عبد القادر الجزائري متصوفاً وشاعراً، المؤسسة الوطنية للكتاب، د،ط،الجزائر،1985م، ص:191 .

ويؤكد الأمير تمسكه العميق، وحبه الكبير لله سبحانه تعالى، ولرسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، وسريانه في عروقه، وهو أساس عزته، ونجاحه في الدنيا والآخرة، فلا عزة ولا كرامة من دون إيماننا بالله سبحانه وتعالى، واتباعنا لسنة رسول الله الصادق الأمين:

بعليائنا، يعلو الفخار، وا ٍن يكن به قد سما قوم ونالوا بها نصرا.

وبالله أضحى عزنا، وجمالنا بتقوى وعلم والتزود للأخرى

ومن رام إذلالاً لنا قلت:حسبنا إله الورى، والجد،أنعم به ذخرا!

وفي نفس سياق الفخر الطبيعي الفطري افتخر الأمير بعروبته، وكما يرى الباحث فؤاد صالح السيد ففخر الأمير بعروبته لا يبرز بروزاً واضحاً، ولا ينال حظاً وافراً بالمقارنة مع ما يحوزه فخره بنسبه النبوي الشريف، وكما رأى الدكتور ممدوح حقي في تقديمه لديوانه بشأن فكرة افتخاره بعروبته أن«القومية العربية قد توضحت عنده، وقد سبق بها زمنه بنحو قرن تقريباً .

ويعتبر الأمير نفسه وارثاً للسيادة العربية، والمجد العربي اللذين يبقيان في نظر الأمير، وا ٍن زالت السماء والجبال:

ورثنا سؤدداً للعرب يبقى وما تبقى السماء والجبال

أما المصدر الثاني من مصادر عظمة الأمير، الذي أراد أن يحققه بإرادته تحقيقاً عملياً، ويمارسه ممارسة تطبيقية، فهو النسب الوضعي الاكتسابي، وتتوسع دائرة هذا الفخر حتى تشمل الفخر بمناقبه الأخلاقية الحميدة، وبثقافته وعلمه،

وبالإمارة والملك، وبشجاعته وحماسته في الحروب، ويمكننا تجاوزاً أن ندخل محيط هذه الدائرة أيضاً، فخره بشجاعة صحبه، وحسن بلائهم، وبالبداوة»[1].

ومن خلال الفخر الوضعي(الاكتسابي) تجلت لنا مناقب الأمير الأخلاقية الحميدة، وتبدت لنا بطولاته،ومكارمه، ورحلاته في سبيل طلب العُلا، وتحمل الأهوال والمشقات إلى غاية الوصول إلى الأهداف الإنسانية النبيلة، والأخلاق الكريمة الفاضلة، فقد صاغ جميع هذه القضايا في قصائد بديعة، وأبيات رقيقة ، مثل قوله في هذه الأبيات:

لنا في كُل مكرُمة مجال ومن فوق السماك لنا رجالُ

ركبنا للمكارم كل هول وخضنا أبحراً ولها زجالُ

إذا عنا توانى الغيرُ عجزاً فنحن الراحلون لها العِجالُ

ومن المناقب الحميدة التي كثيراً ما نلفي الأمير يسعى جاهداً بغرض الوصول إليها، ولطالما رددها في شعره: التنزه عن اللؤم، وصد الضيم والأذى، والحلم والكرم، والسياسة العادلة، والصبر والإرادة.

فبالنسبة للتنزه عن اللؤم؛ فالأمير عبد القادر يؤكد دائماً على ضرورة بذل النفس، والكرم، والسعي إلى التضحية والوفاء، وهذا ما يحاول أن يبرزه لنا في أشعاره، إذ يحلو له أن تقترن أقواله بأفعاله، ونستنتج أن هناك توافقا تاما بين النظرية والتطبيق، حيث إنه صادق كل الصدق في تنزهه عن اللؤم قولاً وفعلاً، ويقول في هذا الشأن:

[1] د.فؤاد صالح السيد:الأمير عبد القادر الجزائري متصوفاً وشاعراً، ص:194 .

فَعْذَا ثَوْبَذَا عَنْ وَكُلَّأَقْلُؤُمِالِي تُصَدِّقُهَا الفِعَالُ

ويذكرنا الأمير من خلال جملة من أشعاره في الفخر والحماسة، ولاسيما ما يتعلق منها بصد الضيم والأذى بمواقف عنترة بن شداد العبسي، الذي يبرز لنا في أشعاره المفعمة بالفخر كيف أنه يبيت على الطوى، حتى ينال به الكريم المأكل:

لَقَدْ أبيتُ عَلَى الطوَى وَأظَلَّهُى أنَال بهِ كَرِيمَ المَأكَلِ

ويقول الأمير عبد القادر، وهو بصدد الحديث عن صبره الطويل، وتحمله للظمأ الشديد، وصبره على العطش الشديد:

وَلَوْ نَدَرِي بِماءِ المُزْنِ يَكْرِي لَذَاعَلَى الظَّماءِ احتِمَالُ

أما الحلم والكرم والعطاء، فالأمير يشير في هذا الشأن إلى أن عقابه ومجازاته للسفهاء ليس بالتعسف، والاضطهاد، بل إنه بالحلم والتروي، والصبر والعفو:

حَلْمُ إنْ جَنَى السُّفهاءُ يَوْمًالِمالسُّؤَالِ لَذَا نَوَالُ

وافتخر الأمير بسياسته العادلة، وقيادته الحكيمة، وتدبيره الدقيق، ويشبه عدالته في بعض أشعاره بعدالة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب –رضي الله عنه- ، ويتمنى أن تكون هذه السياسة بمثابة السراج المنير، الذي يضيء الليالي الحالكات، ويبعد الظلام والجهل، بعد حين من الدهر كادت أن تُطفئ فيه أنوار الهداية والإيمان، حيث يقول الأمير عن سياسته العادلة:

قَدْ سِرْتُ فيهم سِيرةًأحْمَدُمَرْبِيَةُ ظَامِيها الهدايَةُ فارْتَوَى

وَإنيَ لأرجو أن أكونَ أتيلَالذُيالدَياجِي بالسنا بَعْدَ مَلَوَى

ويُدلل الأمير على إرادته الفولاذية، وصبره الكبير عند اشتداد البأس قائلاً :

الجودُ والعلمُ النفيسُ لأوا إلنصبورُ لَدَى اشْتِدادِ البأسِ

وعن عدم توانيه، وتخاذله، ويأسه يشير الأمير إلى أن جميع هذه الفضائل مرجعها الأساس هو الصبر، إذ يقول:

عَجَبوٍ صِنَبْرِي لِكُلوِ كَحَرَمِيهْلَتِي أَثْقَالاً تُجَلُّ عَنِ العَدِّ[1]

وكما افتخر الأمير ببطولاته وشجاعته، وصبره، فكذلك الشأن بالنسبة لعلمه، وثقافته، وقدراته الفكرية،حيث يقول الأمير

مفتخراً بتمكنه من العلوم العربية، ودرايته بالحديث، والفقهالمالكي قائلاً :

فُنٌ بَحْرُ الحَدِيثِ وبَهْجَالمجَتَفَطَابَ الوِرْدُ مِمَّن بِهَا ارتَوَى

وَإِنتَفْقْهِ الأَصمْبَحِيالفَعِجَعتَشَهْدَ لِوَاءَ العَنَادَوَا

إِن شِئْتَ نَحْواً فانحِنا تَلْقَ مَالمَفُدَاليُنَصْعِزِيزُهْداً بِمارَوَى

بدا لنا الأمير عبد القادر في شعر الحماسة والحرب مُدافعاً عن كرامة وطنه، يبث روح الكفاح والعزم والإقدام في نفوس المجاهدين. وقد رسم لنا من خلال قصائده صوراً لا تُمحى من ذاكرة الأجيال التي تأملت قصائده الجهادية والحماسية فنراه «يجذ رؤوس الأبطال من ضباط الجيش الفرنسي العدو جذاً، بل يعتز بأنه يتقدم جنوده ولا يدفعهم أمامه، فيطيح رأس قائد جيش العدو مفتخراً بقوة تسديده وتصويبه، معتزاً بجنوده من رجال أشداء ذوي عزم وعزيمة يبذلون أنفسهم فداءً له. وربما كان النموذج الذي يلخص هذه الروح التي تشيع في فخره ومنازلاته إحدى

[1] د.فؤاد صالح السيد: المصدر نفسه، ص:195ومابعدها.

معاركه عام:1832م، وقد صار وجهاً لوجه أمام القائد الفرنسي، فتتداخل لديه هنا صور المعارك السابقة مع المعارك الحاضرة، ليصير ذلك كله إحدى صور البطولة والاستماتة والتحدي والصمود من لدنه وجنوده حوله، فتتجلى في ذلك ملامح المكان دلالة واقعية في جانب، وصورة رمزية في جانب آخر لحياة الإنسان العربي عامة، وابن البادية خاصة، مع حضور الاعتزاز الرمزي بالنسب النبوي، إباءً وصرامة من جهة، وحمايةً رمزية للجهاد في سبيل الحق من جهة أخرى»[1]، وهذا ما تجلى بشكل بارز في وصفه الدقيق لما وقع في معركة خنق النطاح الشهيرة.

وعظمة الأمير عبد القادر تتجلى في واقعيته، فهو المناضل الذي «يضرب بتواضعه لكل واجب مثلاً للمناضل الحقيقي، وهو البطل يضع بطولته في طليعة الجيش، وهو الآمر يفرض بفعاليته طاعة أوامره، وهو الأمير إمارته تسابق إلى الاستشهاد، وتطلع إلى ساحات الشرف:

أميرٌ إذا ما كان جيشي مُقبلاً وقد نارِ الحربِ إذ لم يكُن لها صال
إذا ما لقيتُ الخيل إني لأولُ وإن جال أصحابي فإني لها تال
أُدافعُ عنهم ما يخافون من فيشكُرُ كُل الخلقِ من حُسنِ أفعالِي

ويعرض الأمير في سخرية لاذعة بالسادات الذين يحملون من البطولة اسمها، ومدلولها براء منهم، يدفعون الجيش إلى أتون المعارك ويحتمون بمؤخرته، متسترين بألقاب الإمارة والقيادة:

[1] د.عمر بن قينة: دوخ جنرالات فرنسا،ودوخته أم البنين، المصدر السابق، ص:93.

ومن عادةِ السـَادـَاتِ بالجيشِ تحتَ مِبِي يحتمِي جيشي وتُحرسُ أبطَالِي.

الغزل :

كما هو معروف فإن غزل الأمير عبد القادر المعروف برصانته، وأخلاقه الفاضلة، ونسبه الشريف، هو ليس ذلك الغزل المادي الفاحش الذي نلفيه لدى الكثير من الشعراء، بل هو غزل «من نوع الغزل الروحي يتحدث فيه عن صبابته إلى زوجته أم البنين، وتغزله بها صادق جياش بالعواطف النبيلة.

وإذا تتبعنا غزل الأمير عبد القادر وجدناه يستهدف منه بث شكواه، وتصوير لواعجه المحرقة إزاء بعض نسائه، وهذا النمط من الغزل هو المحمود لدى من يميلون إلى الجانب الروحي في المرأة، ولعل الذي طبع الأمير على ذلك هو دراساته الأدبية المتصوفة، ونجد للأمير مقطوعة جيدة أنشأها سنة: 1272هـ، وفيها يصف أشواقه إلى زوجته في بروسة، وهي تتسم بعاطفة صادقة ملتهبة، وشكوى صارخة، لبعده عنها، وحرمانه من رؤيتها، وفيها تودد الفارس وذلة العاشق، وأنة المحروم في أسلوب خفيف سهل، ونبرات روحية حزينة، حيث يقول فيها:

أقول لمحبوب تخلف من بعديعليلاً بأوجاع الفراق وبالبعدِ

أما أنت حقاً لو رأيت صبابتي لهان عليك الأمر من شدة الوجدِ

وقلت أرى المسكين عذبه الهوى وأنحله حقاً إلى منتهى الحدِ

وساءك ما قد نلت من شدة الجوى فقلت وما للشوق يرميك بالجدِّ

وإني وحق الله دائم لوعة ونار الجوى بين الجوانح في وقدِ

غريق أسير السقم من كلم الحشى حريق بنار الهجر والوجد والصدّ[1]

وكان الأمير شديد التعلق بوالدته، يصطحبها في أسفاره، وكأنه يتلمس من عقلها الراجح، ومن روحها العضد والطمأنينة، والعزاء لروحه المضطرم، فقد رافقته إلى الأسر، وحملها معه إلى استانبول، وبروسة، ودمشق. وبعد وفتهما حزن عليها حزنا شديدا .[2]

ومن أهم الخصائص و السمات طبعت غزل الأمير، حرصه على تصوير الفراق في صور بديعة، حتى كأن المرء يجد الصورة مجسدة أمامه، كما يظهر من شعره الغزلي مدى حبه للسهر والليالي، ومناجاته للحبيبة الغائبة.

-الوصف:

من المسلم به أن كل شعر فني يندرج تحت لواء الوصف، فالشاعر عندما يتغزل يصف، وعندما يمدح يصف، وعندما يرثي يصف، وعندما يفخر كذلك يلجأ إلى الوصف، «وكذلك كان شعر الأمير في فخره، ووجدانياته، لكن من المواقع ما يصير فيها الوصف هو السائد حتى يكاد الموضوع نفسه يذوب فيه حين تدق مشاعر الشاعر الوجدانية بما فيها المشاعر الدينية، أو تجنح أشواق الذكرى والحنين.ولعل الصورة التي تُظهر لنا طبيعة الوصف عند الأمير إثر وقوفه قرب جبل أحد في بستان، حيث مكث وقتاً في المدينة المنورة، فاحتدمت المشاعر في نفسه، وتداخلت بين إرادة المكث في المدينة، وضرورة المغادرة حسب مقتضى الحال، فقد هدته المعاناة جسداً وروحاً، فطفق يصف الموقف قائلاً :

[1].د.عمر بن قينة: المصدر السابق، ص:98 وما بعدها

[2].د.فؤاد صالح السيد: المصدر السابق، ص:214ومابعدها

إلى الله أشكو ما ألاقي من النوى وحملي ثقيل لا تقوم به الأيدي

فقد وصف لنا الشاعر اللحظة والمكان، واحتدام تلك المشاعر بين إرادة يصعب تحقيقها،بل لا سبيل إلى ذلك،فيصف لنا حالته النفسية أدق الوصف،مسلطاً الضوء من شتى الجوانب،فكأنه يقدم لنا مسحاً شاملاً،ورؤية مكتملة لوضعيته النفسية في هذه الحال حيث إنه يقول:

تذكرت وشك البين قبل حلوله فجادت عيوني بالدموع على الخدِّ

وفي القلب نيران تأجج حرّها سرت في عظامي ثم سارت إلى جلدي

ومالي نفس تستطيع فراقهم فيا ليت قبل البين سارت إلى اللحدِ

بطيبة طاب العيش ثم تمررت حلاوته، فالنحس أربى على السعدِ [1]

وقد انقسم الوصف عند الأمير إلى قسمين رئيسين وفقاً لرؤية الباحث فؤاد صالح السيد، فأحياناً هو يظهر أنه وصف بدوي، كما ظهر في قصيدته الشهيرة التي يصف فيها البدو :

ياعاذِراً لامرئ، قد هام في الحضروعاذلاً لمُحب البدو والقفرِ

لا تذمَّنَّ بيوتاً خف محملها وتمدحنَّ بيوت الطين والحجرِ

لو كنت تعلم ما في البدو تعذرني لكن جهلت، وكم في الجهل من ضررِ

أو كُنت أصبحت في الصحراء مُرتقياً بساط رمل به الحصباء كالدررِ

أو جُلت في روضة راق منظرهابكل لون جميل شيق عطرِ

أو كنت في صُبح ليلٍ هاج هاتته علوت في مرقب أو جلت بالنظرِ

[1] رابح بونار: الأمير عبد القادر حياته وأدبه، مقال منشور في مجلة آمال، العدد:08، يوليه،1970م،ص:17 وما بعدها.

رأيت في كل وجه من بسائطها سرباً من الوحش يرعى أطيب الشجرِ
فيا لها وقفة! لم تبق من حزن في قلب مضنى ولا كدا لذي ضجرِ

وأما الوصف الحضري فقد أناخ بكلكله على المرحلة الثالثة من حياة الأمير نظراً لابتعاده على حياة البدو، واقترابه من الحياة الحضرية.

المدح :

تغير المدح في شعر الأمير عبد القادر جملة من التغيرات، وذلك بتغير حياة الأمير، وتنوعها من مرحلة إلى أخرى، وقد اختلفت أنواعه باختلاف ظروف حياة الأمير، فبعد مرحلة التعمق في التصوف ظهر مدح سمي بالمدح الصوفي، ومما قاله في هذا الجانب يمدح شيوخه بالكرم، والجاه، والجمال:

وما زهرةُ الدنيا بشيء له يُرى وليس لها يوملمجلسه نشرُ

وقوله كذلك يمدح شيخه الشاذلي، ويؤكد أن حضوره يبعد الآلام، والأشجان، إذ يقول:

أهلاً وسهلاً بالحبيب القادم هذا النهار -لديخير ُ المواسم
جاء السرور ُ مـُصاحباً لقـُدومه وانزاح ما قد كان قبل مـُلازمي
طالت مساءلتي الرـُكاب تشو ُقاً لجمال رؤية وجهك المتعاظم

في حين أن مدحه السياسي تميز بقلة العدد مقارنة مع بقية القصائد، وتميز باستقلاله عن الفنون الأخرى، كما تضمن مدحه السياسي أفكاراً دينية، وا ٍشارات إلى ضرورة الدفاع عن شريعتنا الإسلامية قولاً وفعلاً .

-المؤلفات

كتب الأمير عبد القادر عددا من المؤلفات كـ"المقرض الحاد"، و"السيرة الذاتية"، و"ذكرى العاقل" الذي ترجم مرتين وكان يعرف باسم "رسالة إلى الفرنسيين"، و"المواقف" بالإضافة إلى رسائل أخرى.

الفصل الأول

المبحث الأول : النظرة العامة عند الأمير عبد القادر للألمان

لقد أسهمت إنسانية الأمير عبد القادر واحترامه وتقديره لغيره من الغربيين المسيحيين في تغيير صورة العربي المسلم لدى الآخر، وكسب ثقته .وقد صدرت ترجمة كتاب عبد القادر لقوستافدوف لأول مرة سنة (1858) الذي اكتشف من خلالها القارئ الفرنسي مفكرا عربيا أصيلا أن قوة شخصية الأمير تكمن في الرؤية الخلافية للمنظور اللاتيني للفلسفة والمنطق ومتطلبات الدين الإسلامي منتهيا إلى أن الديانات الثلاث تنبع من معين واحد، وأن رسالة الأنبياء والرسل لم تكن تهدف على تفويض المعرفة العلمية والفلسفية بل جاءت في مجملها لتكريس حرية الإنسان المتمثلة في التسامح والحب والتعاون بين الشعوب[1].

إن المتأمل في التسامح الديني الذي عرف به الأمير أثناء وجوده في الجزائر وأثناء وجوده خارجها يدرك أن الرجل كان يفهم روح العصر وحاجات التعايش بين الشعوب،فموقعه من رجال الدين الفرنسي في الجزائر، وتصريحه في كنيسة المادلين عام 1852 بباريس.

[1]: https://binbadis.net ، مقال: صورة الأمير عبد القادر في كتابات الألمان (موريتسفاغنر وكارل بيرنت).

"حينما بدأت مقاومتي للفرنسيين كنت أظن أنهم شعب لا دين له ولكن تبينت غلطتي، وعلى أي حال فإن مثل هذه الكنائس ستقنعني بخطئي[1] .

وبالإضافة إلى ذلك كان عبد القادر وهو الذي يقود المعارك الجهادية وهو الذي يؤم الناس في الصلاة وكان في مراسلاته وأوامره يستشهد بالقرآن الكريم وكان عند كل غروب بعد العصر يقف أمام خيمته يلقى درس في الوعظ على قومه.ولم يكن من الضروري حضور هذه الخطبة الوعظية وبذلك كان الجميع يجددون يوميا حرارة الغيرة الحربية و الدينية التي كانت تتقد داخل صدورهم،فكانالأمير بذلك كأنه منبع رئيسي من الضوء و الحرارة لقومه[2].

يقول تشرشل " تقدم عبد القادر إلى بني وطنه بفكرة بسيطة وعظيمة في نفس الوقت،وهي فكرة قومية عربية رغم أن هذه الفكرة قد تظهر في بادئ الأمر بعيدة المنال ولا يمكن أن تقدرها حق قدرتها سلالة اعتادت متقدرون على مدر قابلها إلى النير الأجنبي واختفت فيها منذ أمد طويل جميع مبادئ الوطني، فإن عبد القادر كان

[1]: غوستاف دوقا، شخصية الأمير عبد القادر من منظور الأخر، تر" أبو القاسم سعد الله، المطبوعات الجامعية.

[2]: شارلز هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله-طبعة خاصة وزارة المجاهدين.

يعتقد أن هناك ، من بين مئات القبائل التي تقطن الجزائر بعضا على الأقل ستوقظ فيها الفكرة القومية رد فعل إيجابي[1] .

-اهتمام الألمان بالجزائر:

لقد اهتم الألمان في بداية الأمر بترجمة ما كتبه المؤلفون الأجانب عن الجزائر فنقلوا إلى لغتهم كتاب الرحالة الانجليزي توماس شو« رحلة في ولاية الجزائر » سنة 1765، وكتاب الشاعر الايطالي فيليو بنانتي « رحلة إلى سواحل البرابرة عام 1824»

وبعد احتلال الجزائر بمدة قصيرة نشرت مجلة الكتب السنوية في عدد سبتمبر سنة 1830 دراسة مطولة، استقت الكثير من معلوماتها عن الجزائر من المجلة الايطالية للعلوم والآداب والفنون وأضافت إلى ذلك شيئا مما عثرت عليه في مراجع ومصادر أخرى، واستعانت أيضا بكل من شو ، وبنانتي ، وبيير دان ، الذي صدر كتابة عن الجزائر في باريس عام1649[2] وقد تحدث مؤلف هذه الدراسة عن ولايات الجزائر ومدنها وموانئها وجبالها ووديانها و أنهارها وبحيراتها وجوها ومناخها وخصوبة

[1]: المرجع نفسه، ص 10

[2]: ينظرالجزائر في المؤلفات الر حالين الألمان 1830-1855، دار النشر 435/75، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ،1975، ص 8-9.

أراضيها ومنتجاتهاالزراعية، وأشارا إلى أهم المدن وقدم خصلاتلتاريخها ، وخاصة القل وبجاية وعنابة وجيجل وقسنطينة والجزائر ، ويذكر أن بالجزائر عشرة مساجد كبيرة وحوالي خمسين مسجدا صغيرا وخمس مدارس وعددا كبيرا من مدارس الكتاب . ولعل أهم ما ورد في هذه الدراسة هو الحديث عن مسألة العبيد التي اتخذتها أوروبا ذريعة للاعتداء المتكرر على السواحل الجزائرية والإشارةإلىأن هؤلاء العبيد كانوا قد أصبحوا ملكا للدولة الجزائرية قبل خمسين سنة، وأنه من الإنصافالاعتراف بأن أوضاع الأسرى في الجزائر كانت أفضل بكثير من أوضاع أمثالهم في البلدان المسيحية. ذلك أن العبودية في البلدان الإسلامية عبودية منزلية، يكره عليها العبد.[1]

ومن ثم يشق عليه احتمالها. وقد تقلد كثير من عبيد الجزائر وظائف سامية، جلبت لهم الخير والنفع والثراء، وهناك من صعب عليه أن يترك الجزائر ويتخلى عن أرضها وسمائها، ولما غادرها وعاد الى بلاد أوروبا المتمدنة امتلأ قلبه حسرة عليها وعلى النعيم الذي عرفه فيها كعبد أجنبي اذ كانت مصدر سعادة وهناء بالنسبة له.

وتذكر المجلة في نهاية دراستها ان الجزائريين لا ينقصهم الذكاء ولا المواهب ولا القدرة على التطور، ولكن الاضطهاد التركي هو الذي تركهم على هذه الحالة التي

[1]: المرجع نفسه، ص9.

هم فيها! وقد بدأ اتصالهم بأوروبا قبل نصف قرن،إذ سافر إليها كثير منهم، وزاروا بعض بلدانها وحصلوا على معارف متنوعة، أدت إلىظهور مواهبهم المختلفة بصورة أوضح[1].

أما لقاءه لأول بالأمير عبد القادر فيرجع سببه ودافعه هو وقوع رسائل فرنسية في يد الأمير عبد القادر، ورغبة هذا الأخير معرفة ما فيها، لهذا طلب من قيادته البحث عن ترجمان لها فتقدم لذلك كارل يوهان، وقد حفظ يوهان تفاصيل أول لقاء بدقة ووصف الأمير عبد القادر بأنه" رجل شاب، في حوالي الثلاثين أو الواحدة والثلاثين من عمره، وهو قصير القامة، رشيق الجسم، أبيض اللون، يرتسم النبل والحلم على ملامح وجهه، وكانت عيناه ذات لون أزرق رمادي، ولكنهما براقتان، ولحيته سوداء، منتظمة، وأسنانه التي انكسرت إحدى ثناياها، سليمة ناصعة البياض، وكان صوته عميقا، وكانت به نعومة ورقة، وكان يحمل وشما صغيرا فوق جبينه وخذه الأيمن ويده اليمنى[2] ..

[1]: ينظرالجزائر في المؤلفات الر حالين الألمان 1830-1855، ص10.

[2]: هواري أحمد، صورة وشخصية الأمير عبد القادر الجزائري من خلال شهادات –بن عربية محمد، مجلة الفكر والتاريخ، المجلدالثاني،ع2، ماي2021، ص 248.

ويضيف كارل بيرنت في معرض تصويره للأمير عبد القادر بأنه" جمع بين الدهاء العربي والشجاعة الحربية والطموح، وكان يتسم بالحلم والعدل على قدر ما تسمح به مواقفه وتطلعاته.

كان الأمير عبد القادر ذو ثقافة واسعة متمكنا في العديد من العلوم بفرعيها النقلي والعقلي، ومحيطا بالآداب، مطلعا على التراث وما خلفه الأولين، وقد خلف العديد من المؤلفات من المعروف والموجود، ومنها المفقود نذكر منها:

*ذكرى العاقل وتنبيه الغافل .

*المقراض الحاد لقطع لسان منتقص دين الإسلام بالباطل والإلحاد[1]

*بغية الطالب على ترتيب التجلي بكليات المراتب

* المواقف الروحية والفيوضاتالسبوحية

*ديوان الأمير عبد القادر الجزائري

* وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب

* رسائل الأمير عبد القادر.

[1]: المرجع نفسه.

كانت سيرة ومسيرة قصة بيرنت كلها تدور عن أسره وتعايشه وملو لات هروبه من الجزائر، غير أن إنسانية الأمير عبد القادر واحترامه وتقديره لغيره من الغربيين المسيحيين أسهمت في تغيير صورة العربي والمسلم لدى الآخر، ومع كارل يوهان بيرنت الذي عاش معه، وعايشه، والذي أصبح لا يخفي الحقيقة بشعوره بالذنب، مقارنة بالمعاملة الحسنة والحياة الكريمة، وحتى الثقة التي نعم بها في جوار وحمى الأمير عبد القادر وتأثره به، وبخصاله وشجاعتهوفي هذا يقول:" إلا أنه من واجبي أن أعترف أيضا أن شخصية الأمير عبد القادر وحضوره كانا يحدثان أثرا في نفسي، بحيث إنني لم يكنمن السهل علي أن أتخلى عنه...ولما كنت لا أفكر إلا في مصلحة الأمير، كما يعرف ذلك هو نفسه[1]...

[1]: ينظر: هواري أحمد، صورة وشخصية الأمير عبد القادر الجزائري من خلال شهادات –بن عربية محمد، ص249.

*يوهان كارل بيرنت (1825/1773) هو رياضي، وعالم فلك من الامبراطورية الرومانية المقدسة، ولد في لابيزيغ، وكان عضوا في الأكاديمية الفرنسية للعلوم والأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم، الأكاديمية الروسية للعلوم.

قدم كارل بيرنت صورة حقيقية وواقعية عن الأمير منذ أول لقاء معه، وصوره كما وصفته بقية المصادر المحلية وغيرها، من زينة خلقية، توافقت مع تميز وتفرد في الشخصية، مطبوعة بوقار وحلم وهيبة .كما لم يخفى عن بيرنت الحياة العلمية والدينية التي كان يحياهاالأمير عبد القادر بالتوازي مع حياته السياسية والعسكرية، فهو كان عابدا وزاهدا، متمكنا من اللغة العربية وآدابها، عارفا بتواريخ الأولين، مشجعا للعلم بين رعيته، وقائما على حلقات العلم والأدب في مجالسه، صاحب مشروع يتجاوز الزمان والمكان، وهو ما عبر عنه بيرنت بمايلي:" وكان يشعر في نفسه القدرة على أن يعيد الهلال ما كان له من غلبة وعظمة"[1]

[1]: المرجع السابق، ص249.

المبحث الثاني : كيف يقرأ الألمان الأمير عبد القادر

صورة الأمير عبد القادر مورتيس فاغتر:

حياة الأمير بسيطة كثيابه، فهو يسكن ، منذ أن هدم قصره في معسكر ، خيمة عادية لا يتركها إلى قصره الجديد في تقدمت إلا لمدة قصيرة . وطعامه زهيد ، ولا يخشى الأمير الجوع ولا التعب ، ويعتبر أحسن الفرسان في بلاد الجزائر) وفي المعركة يحمل فوق رأسه سمشية مذهبة ، وعلى جانبي فرسه يسير عبيده من الزنوج . والعرب يجلون أما لأمير ، واسمها الزهرة ، غاية الإجلال ، وذلك أمر غير عادي بالنسبة لامرأة مسلمة . فهذه المرأة العجوز، التي كان سيدي محي الدين يفضلها على غيرها من نسائه لهدوئها ورزانتها، كثيرا ما تحدث عنها من رآها من الأوروبيينبإعجابكبير . وكانت تعرف أوضاع البلاد وظروف ابنها مع الكفار معرفة جيدة ، دون أن تخفي كرهها الشديد لهم ، وقد أكسبها عطفها على المرضى والفقراء حب جميع التعساء والأشقياء[1].

[1]: ينظر: في المؤلفات الرحالين الألمان(1830-1855) تر: أبو العيد دودو، طبع بمطابع الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص 57/56/55

لقد رفض الأمير عبد القادر أن يتبع طريقة أبيه وغيره من الشخصيات البارزة فيما يتعلق بأمر الزواج الشرعي ، فقد تزوج بامرأة واحدة ،فقط ولم تكن له الرغبة في أن يتزوج غيرها رغم إلحاح أقربائه عليه وعلى الرغم من أن مصاهرة الشيوخ من ذوي النفوذ كانت تعود عليه بالخير والنفع الكثير . وقد أبطل الأمير أحكام الإعدام المترتبة عن الخيانة الزوجية، وإن ظل يعاقب عليها بشدة وكانت أبرز خصائص الأمير عفته.[1]

وكان الأمير ورعا متحمسا لدينه، وكان يلقي الخطب في بعض الأحيان وقد القي أفضل خطبه له في جامع معسكر ، فمكنته هذه الخطبة من أن يضم قبيلة بني عامر إلى صفه بعد أن كان شيوخها قد قرروا الخروج عليه ، فأصبحوا منذ ذلك الحين من أخلص إتباعه.

ولم يكن الأمير يحمل الشعب على التعصب الشديد ، وبرهن أكثر من مرة على أنه يريد مسالمة الكفار ، فاستضاف من زاره من الرسل الفرنسيين والرحالين وأكرمهم وعاملهم بلطف ، ولم يكن يرى ما يحول بينه وبين أن يتحدث معهم في كل شيء حتى في المواضيع الدينية .

[1]: المرجع نفسه، ص57.

عندما زاره الضابط الليغرو ، الذي كان يتكلم العربية بصورة جيدة ، ونصحه ألا يفتر بالحظ الذي واتاه حتى الآن، أجابه الأمير :

«لقد كنت قبل ثلاث سنوات رابعأو لاد أبي لا غير، وكان علي، حين أقتل رجلا في المعركة، أن آخذ سلاحه وفرسه لأزيد فيما أملك. وأنت ترى ما أنا عليه الآن. فكيف لا أكون واثقا من نفسي»وحمل إليه رسول المرشالكلوزيل بعد الاستيلاء على تلمسان رسالة تهديد، فأجابه الأمير:**«عندما تقف على الشاطئ وترى الأسماك تعوم في البحر، قد تتصور أنه يكفيك أن تمد يدك لتمسك بها، ولكنها تنزلق من بين أصابعك كلما خيل إليك أنك قد تمكنت منها، وعليك بعد أن تلحق بها في أعماق البحر.فإذا كان السمك صاحب البحر، فان العربي سيظل كذلك صاحب البادية»**[1]

[1]: المرجع السابق، ص58/57.

- موريتسفاغتر **Moritz Wagner**و مستكشف، وكاتب، وعالم نبات، وأستاذ جامعي من مملكة بافاريا. ولد في بايرويت.

الفصل الثاني

المبحث الأول : نظرة العامة عند الأمير عبد القادر للانجليز:

والواقع أن الإنكليز وقفوا من الأمير عبد القادر موقف المعجب المشجع أثناء مقاومته رغم أن إعجابهم به وتشجيعهم له لم يصل حد الحماس والتأييد المطلق. فقد ثبت أنهمأمدوه ببعض الأسلحة والذخيرة من مراكزهم في المغرب واسبانيا . و اتصل به بعض عملائهم في الجزائر لمعرفة تفكيره السياسي واتجاهاته[1]وغطت صحفهم، حتى المحافظة منها،إخباره بلهجة معجبة.وتناوله بعض شعرائهم، بل دخل حتى في أدبهم الشعبي[2]، وتبادل معهم الرسائل وانتصروا له عند سجنه في فرنسا وقد تدخل كبار رجالهم لإطلاقسراحه[3].

ولكن علاقة الأمير بنابليون الثالث، وما قيل من أنالأمير قد منح كلمته الصادقة بان لا يرفع السلاح مرة أخرى في وجه فرنسا أينماكان، وحماية فرنسا له ولأ لاده وتزويده بأكثر مما يحتاجه من مال على يد نابليون، كل ذلك وغيره قد جعل الانكليز يتفون منه موقف الحذر. فقال عنه بعضهم بأنه قد أصبح صديقا للفرنسيين ولا يمكن أن يكون غير ذلك، وسكت عنه الآخرون فلم يهتموا به ولم يعد في نظرهم قادرا على القيام بأي دور على المستوى العالميو إذا كانت الملكة فيكتوريا قد أرسلت إليه بندقية وخطاب شكر فإنها قد فعلت ذلك تقديرا لموقفه

---

[1]: ينظر: مقال، الكولونيل سكوت- Scott يومياتإقامة في زمالة عبد القادر وأسعار في المغرب والجزائر، (لندن، 1842).

[2]: ينظر: جريدة "بانش"،نقلا عن:The Northern النجم الشمال (22 يناير-1848) وعنوانها: د عبد القادر في طولون أو السفر السجين.

[3]: المرجع نفسه.

الإنساني من حوادث 1860 في الشام تمشيا مع ما قامت به معظم الدول الاوروبية نحوه. ولم يكن ذلك بدون شك تغييرا في سياستها نحوه أو تقربا منه للاستفادة من نفوذه كما فعل الفرنسيون. أما تشرشل فستعرف لماذا درس الأمير وكيف تناوله.

رغم الغموض الذي يحيط بحياة الكولونيل شارل هنرى تشرشل الشخصية فان بعض الخيوط تكفي لربط علاقته بالأمير. فأسرة تشرشلتنتمي إلى الارستقراطية الانكليزية التي تميزت بالنبالة والثروة وخدمة التاج البريطاني.وأول من وضع هذه الأسسللأسرة هو دوق مارلبورو **Marlborough**1650-1722الذي هزم الفرنسيين في معركة بلينهايم (1702). ونمر بعد ذلك بأسماء بارزة من أمثال راندولف تشرشل (1885 – 1849)وابنه السير وينستون تشرشل زعيم بريطانيا في الحرب الثانية. ومعظم أفراد هذه الأسرة لعبوا أدوارا عسكرية وسياسية، لذلك فهم يمجدون البطولة والفروسية وأعمالالنبل. ولا عجب أن نجد هذه الظاهرة بارزة في كتاب تشرشل عن الأمير.فالكولونيل، الذي كان في سن الأمير، وجد نفسه في اسبانيا خلال سنة 1835. وهي الفترة التي كانت بريطانيا تعطف على الأمير وتمده ببعض الأسلحةوالذخيرة. وبتأزم الموقف في الشرق إثر حروب محمد على ضد الدولة العثمانيةوا ٍثناء الحكم المصرى للشام نجد الكولونيل فجأة على مسرح الإحداث ولعل المرء يجد كثيرا من أوجه الشبه بين دوره ودور مواطنه لورانس بعد حوالي قرن من الزمن. فقد حمل مثله عواطف الكره الشديد ضد العثمانيين ومال مثله نحو

العرب،وكان كلاهما يعمل في المدى البعيد على تأمين المصالح البريطانية العليا . وإن كتابه عن الأمير لحافل بهذا الموقف [1].

وظل تشرشل يقيم بالشام بدون هوية واضحة، فهو مرة يقف مع الدروس ضد المارونيين وأخرى يحمل عليهم. وهو تارة يؤيد العرب ضد الترك ويدعو الى كيان عربي وشخصية عربية مستقلة.

المبحث الثاني : كيف ينظر الانجليز للأمير عبد القادر:

موقف الانجليز من الأمير

وا إذا كان ذلك هو موقف الانكليز من الأمير. فما كان موقفهم من دايات الجزائر على مدى التاريخ؟ لقد ارتبطت العلاقات بين الجزائر وبريطانيا منذ القرن السادس عشر. ورغم الهزات التي تعرضت لها أثناء الثورة الأمريكية والثورة الفرنسية وحملة اللورد اكسموث 1816 فان هذه العلاقات كانت في جملتها ودية. فبريطانيا كانت تدفع عن رضي الجزية المتعارف عليها عندئذ، وكانت سفنها وقناصلها بالتالي محل احترام من الجزائريين، وكثيرا ما كان الأسطول الجزائري يتزود من الموانئ البريطانية. وكثيرا ما تبادلت الجزائر وبريطانيا البعثات والهدايا الثمينة. وباتفاقية سنة 1806 حصلت بريطانيا على حق صيد المرجان وتجارة الحبوب في الشرق الجزائري، وهو الحق الذي كانت تتمتع به فرنسا، ولكن هذه سرعان ما استردت ذلك الحق بعد سقوط بابليون وبعد حملة اللورد اكسموث المذكورة. ويبدو انه كان ليهود الجزائر، ولا سيما أسرة بكرى - بوشناق ،دور رئيسي في عدم استقرار العلاقات

[1] ينظر : جيمس سبورييين، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر عن سياسية بريطانيا تجاه الاحتلال فرنسا للجزائر.

التجارية بين البلدين ، ويذكر بعض مؤرخي الانكليز أن هذه الأسرة كانت تستخدم حتى الكيد والتوريط للإضرار بالمصالح البريطانية في الجزائر[1] •

ومنذ بدأ النزاع الجزائري الفرنسي سنة 1827 لعب القنصل البريطاني السيد روبير ويليام سان جون R. W. St. John الذي تعين قنصلا عاما لبريطانيا خلال 6 ديسمبر 1827، خلفا للسيد موريس توماس دورا بارزا في هذه الأثناء.

جورج شقير [2]وهو أخرى يعمل بدون كلل على تثبيت المصالح البريطانية فنجده يغدو ويروح بين فنصليتى بريطانيا في دمشق وبيروت ويدعو بلاده أن تتخلى عن تأييد الرجل المريض (الدولة العثمانية) الذي يقف في طريق الحضارة والتقدم . وقد ظهرت كل هذه الأفكار التي قد تبدو متناقضة في مؤلفاته «جبللبنان» في ثلاثة أجزاء،(لندن،1852(الدروز والمارونيون»(لندن ، 1862) . ومنها الكتاب الذي نقدمه اليوم عن الأمير ويجب أن يكون واضحا أن تشرشل قد نشر كتابه هذا في الوقت الذي ظهرت فيه في فرنسا وفي الشرق دعوة إلى تولية الأمير ملكا على العرب، فهل أراد تشرشل بهذا الكتاب أن يساهم في هذه الفكرة باسم الانكليز حتى يحافظ لبلاده على مكانة بارزة لدىالأميرا ٍذا ما تحققت الدعوة؟ ومن جهة أخرىأننا نعلم أن الأمير قد زار لندن في صيف سنة 1865 (أى بعد انتهاء تشرشل منه وقبل صدوره) ، ولكننا لا ندري مدى مساهمة تشرشل في حمل الأمير على هذه الزيارة التي قيل عنها أنها كانت زيارة خاصة دامت بضعة أيام فقط.

---

[1]ينظر: ليعيPlayfair ، قنصل بريطانيا في الجزائر، حوليات العلاقات البريطانية مع الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي.)

[2]: المرجع السابق، ص 13

ومهما يكن الأمر فإن تشرشل كان في بيروت عندما حل الأمير بإسطنبول ثم ببروسة سنة 1853 بعد أن أطلق سراحه وسمح له بالإقامة في الدولة العثمانية. وكان وصول الأمير، مع ما سبقه من السجن غير المنتظر والاحتفالات التي أقيمت له في باريس وغيرها من المدن الفرنسية، ثم احتفاء سفير فرنسا به في العاصمة العثمانية، حادثا هاما في الشرق. وقد تهاطلت الوفود على الأمير من كل جانب وكان لكل وفد رغبة وهدف، فهناك الجزائريون الذين سبقوا الأمير الى المشرق وهناك علماء و أعيان الدولة العثمانية، وهناك قناصل وممثلو الدول الأجنبية. ومنهم تشرشل. فهؤلاء كانوا يتساءلون بلا شك عن دور الأمير الجديد بعد أن أطلق سراحه. هل سيعود إلى الجزائر ويعلن الحرب ضد فرنسا مجددا؟ هل سيلعب دورا خطيرا في البلاد العربية؟ هل سيعتزل السياسة تماما ويتنسك؟ هل سيعيش تحت النفوذ الفرنسي محاطا بسياج من المعاش المالي الضخم الذي أغلقه عليهنابليون؟إلى غير ذلك من الأسئلة التي كانت تدور في خلد ممثلي الدول الأجنبية ، وبدون شك لدى السلطات العثمانية أيضا . وقد حمل الفضول السياسي تشرشل على التوجه لمقابلة الأمير في بروسة[1] .

وكان ذلك خلال سبتمبر من السنة المذكورة . ولم يكن ينقصه لا المهارة السياسية ، ولا حذاقة اللسان العربي ، ولا الخبرة بالطبائع العربية والإسلامية . ويبدو أن الرجلين قد مالا إلىبعضهما . فقد توقف الأمير عند توجهه إلى دمشق سنة 1855عند صديقه تشرشل في جبل لبنان وبات ليلته عنده . ولا شك أنالأحاديث قد

[1]: عاد الصلح" سطور من الرسالة ،ص 71

تطورت بينهما فتناولت ،بالإضافةإلى حياة الأمير الشخصية، حياة الشرق عامة ، ومنطقة الشام خاصة . ولا نستبعد في هذه الحالة أن يكثر الأمير من الإصغاء ويقلل من الكلام رغم أن تشرشل يقول أن « أحاديثنا الطويلة لا تكاد تخرج عن أعماله في الجزائر."

أما تشرشل فقد عزم منذئذ على كتابة سيرة شخصية للأمير. وأثناء سنة1859-1860أقام تشرشل في دمشق لتنفيذ مشروعه فأتفق مع الأمير على الجلوس معه ساعة يوميا طيلة خمسة شهور . ومن هذاالكتاب ومن حق الباحث أن يتساءل لماذا أخر تشرشل كتابه حوالي عشر سنوات هل كانت تنقصه الوثائق الضرورية أو كان ينتظر الفرصة المواتية أوأن الأحداث لم تتطور بعد لتجعل من الأمير محط الأنظار من جديد أو كان تشرشل مشغولابأمور أخرى ؟ على كل حال أن هذه الأسئلة لا يجيب عليها الكتاب . ولعلها ستظل بدون جواب حتى يظهر من الوثائق ما يكشف الحقيقة.

ومن هذه العلاقة بين الرجلين (السن، نبل الأصلالفروسية ، الثراء ، الإعجاب المتبادل) نفهم لماذا صاغ تشرشل كتابه هذا على النحو الذي هو عليه . والكتاب يقوم على مبدأين : تمجيد بطولة الأمير الحربية وتمجيد مواقفه الإنسانية أن حماس تشرشل هو للأمير كزعيموا نسان وليس لشعب الجزائر ذلك أن إعجابه بالأمير كشريف وبطل ومصلح يقابله وصفه للجزائريين بالتخلف والقبلية والقدرية .

ولذلك نجد نقصا واضحا في تغطية عدد من الأحداث العسكرية والدبلوماسية لأنها لم تكن تشغل بال المؤلف ولذلك تجاوزها.[1]

ولكن ما المواقف والأحداث الكبرى في حياة الأمير التي تعرض لها كتاب تشرشل والتي ما زال يكتنفها الغموض؟ يتناول الكتاب حياة الأمير منذ ولد في القيطنة سنة 1807 إلى عودته إلى دمشق من الحج سنة 1864 • وخلال نصف القرن هذا شهدت الجزائر تجربة الاحتلال الفرنسي وحركة المقاومة ضده. وحرب القرم وفتنة الشام، وشهدت أوروبا حروب نابليون، وثورات 1848 والتقدم الصناعي ومحاولات الوحدة في كل من ايطاليا وألمانيا- إذن فقد عاصر الأمير كل هذه الأحداث وشارك في بعضها.

ونلاحظ أن الطابع الأسطوري لظهور الأمير قد بدأ منذ نعومة أظفاره فقد كانت تظهر عليه علامات خاصة ميزته عن جميع إخوته فجعلت والده يوجه له عناية خاصة ويؤثره على غيره. وقد ظهرت هذه العناية في الثقافة والتوجيه. وكان محيي الدين يراقب ابنه عن كثب ويتوسم فيه علامات غامضة .وقد روى تشرشل عدة قصص عن علاقة الأب بابنه سواء في الجزائر أو في بغداد عند ضريح الولى عبد القادر الجيلاني. ثم إن نبوغ الأمير العلمي دون إخوتهو اهتمامه بالفروسية والصيد وزواجه المبكر كلها عناصر هامة في نضج الأسطورة يضافإلى ذلك الحسب والنسب والحج والوسامة والورع، بل حتى مبايعته تحت الشجرة ثم في الجامع[2].

[1]: معاهدة ديمشال، مطبوعات كلية الأدب الجزائر " باريس "، 1924.
[1]: المرجع السابق.

الفصل الثالث

المبحث الأول: نظرة العامة عند الأمير عبد القادر للفرنسيين

إن استيلاء الفرنسيين على الجزائر لم يشرف العرب بادئ الأمر، أنه مشاعر غير عادية بالخوف والقلق ذلك أن الفرنجة الساحلية وطالما رفرفت أعلام اسبانبا وانكلترا بافتخار على حصون وهران وطنجة وكانت عنابة والجزائر قد اضطرت في مساسات متعددة أن تذعن في احترام حرين أمام مطالب الحضارة الأوروبية، ولكن في مناسبات متعددة أن كلا من احتلال العسكري والضغط الفرنسي قد انتهى.

ولذلك فإن العرب لم يشعروا بعد أبدا بسب يدعوهم إلى اعتبار التدخل المعادي في وطنهم من الفرنجة، علامة خطر عل وجودهم القومي.[1]

ولكن سلوك الفرنسي في الجزائر سرعان ما أضع العرب بأن حضر هؤلاء المعتدين لم يكن حضورا عاديا والحق أن الجنرال بورمون Bormont قد صرح منذ البداية بواسطة بيان علني، أن فرنسا قد استولت ليس على مدينة الجزائر فقد ولكن عل البلاد كلها وقد تلا ذلك مباشرة نفي الداي، وا ٍزالة كل معالم وآثار الحكم التركي وتهجير الأتراك، وا ٍصدار القوانين والمراسيم باسم ملك الفرنسي وتوسيع

[1] كتاب حياة الأمير عبد القادر، مؤلف شارلز هنري تشرشل ترجمة أوبو قاسم سعد الله، طبعة خاصة وزارة المجاهدين ،1830 ص 73..

وتحميل مدنية الجزائر، والاستيلاء على كل مدن الساحلية وامتداد المراقبة العسكرية نجو جبال الأطلس.[1]

- وفي عام 1830 تعرضت الجزائر للاحتلال الفرنسي وبدأ الجزائريون رحلة النضال ضد المحتل وعقب مبايعة الجزائريين له عام 1832 اتخذ عبد القادر من مدينة معسكر عاصمة له وبدأ في تكوين الجيش والدولة وحقق انتصارات ضد الفرنسيين.[2]
- أدت انتصارات عبد القادر إلى إجبار الفرنسيين على إبرام هدنة معه فكانت اتفاقية تافنا عام 1838 التي اعترفت فيها فرنسا بسيادته على غرب ووسط الجزائر.[3]
- شرع الأمير عبد القادر بعد هذه الاتفاقية في تشكيل حكومية وتنظيم الدولة ومكافحة الفساد، لكن تلك الاتفاقية كانت فرصة لفرنسا لالتقاط الأنفاس لتواصل بعد ذلك القتال ضد قوات الأمير عبد القادر ومع وصول الإمدادات من فرنسا سقطت معا قلة واحد تلوى الأخرى.

---

[1] نفس المرجع.

بورمون: هو قائد الحملة على الجزائر وقد عزل بعد سقوط حكم شارل العاشر.

الفرنجة: الفرنكيون أو إلا فرنج أو الفرنجة هم مجموعة قبائل جرمانية غربية والتي كانت قد شكلت ما عرف باسم تحالف القبائل الجرمانية.

تزعن: خضع، انقاء، ذل، ذعن لسيده الأوامر الآخرين هو يذعن للإهانة.

[2] موقع بي بي سي، 16 نوفمبر تشرين الثاني 2018، آخر تحديث 11 أغسطس آب 2021.

[3] نفس المرجع، www.bbc.com

- وبعد مقاومة مريرة اضطر الأمير عبد القادر وأنصاره الاستسلام للقوات الفرنسية عام 1847 بشرط السماح بانتقاله إلى الإسكندرية أوعكا، ولكن ثم نقله إلى فرنسا وسجنه هناك ولكن رئيس الجمهورية الفرنسية لويس نابليون قرر لاحقا إطلاق سراحه فسافر إلى تركيا عام 1852 ومنها إلى دمشق عام 1955.
- إن السهولة التي احتل بها الفرنسيون مذنبي معسكر وتلمسان قد أقنعت عبد القادر بضرورة وجود مركز بعيدة عن أيدي الفرنسيين والخطة، التي أعدها لمشروعه هذا والتي حققها كان لها هدف مزدوج: مقاومة الاعتداء الفرنسي وتدعيم سلطته الخاصة على العربي، وهذه الخطة تدل بوضوح على عبقريته العسكرية.[1]
- ولما كان عبد القادر ينقذ غيره لتحيق مهمته العظيمة على أكمل وجه، فإنه لم يضع ساعة واحدة نهار أو ليلا في التخطيط والترتيب والتنفيذ مشاريع جديدة للتقدم والإصلاح، لقد كان الهدف الأسمى والأشمل لعبد القادر هم جعل عرب الجزائر شعبا واحدا، دعوتهم للمحافظة التامة على دينهم، بعث روح الوطنية فيهم، وا يقاظ كل قدر اتهم الهامدة، سواء للحرب؟، أو التجارة، أو الزراعة أو للأخلاق والتعليم ثم تتويج ذلك كله بطابع الحضارة الأوربية.[2]

[1] كتاب: حياة أمير عبد القادر، تأليف هنري تشرشل ترجمة أبو قاسم سعد الله، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، ص 179-838.

[2] نفس المرجع، ص 195.

- أصبح عبد القادر يرى نفسه الآن مؤسس إمبراطورية، أن عبقريته القوية النشيطة قد نجحت في منح الالتحام والوحدة لعناصر كانت عل جانب كبير من التخاصم والاختلاف، فقد خصفت لصولجانة العظيم مئات القبائل وكان المرء يلاحظ في كل مكان النتائج الطبية للنظام والحكومة الراشدة وكانت علاقته الخارجية تشهد عل قوة سلطته وعظمة شهرته، فحكام ولاة المغرب الأقصى ومصر وتونس وطرابلس كلهم كانوا يتسابقون إلى كسب احترامه والإعجاب به، وعلماء مكة والإسكندرية كانوا يرقبون بفرحة قدسية وبأمل كبير، أعمال رجل كان يظهر أن القدرة الإلهية قد اختارته لإحياء أمجاد الإسلام الغابرة.[1]

[1] كتاب حياة أمير عبد القادر، مؤلف: شارلز هنري تشرشل، ترجمة أبو سعد الله، طبعة خاصة وزارة المجاهدين ص 195 (1838-1839).

المبحث الثاني : كيف يقرأ الفرنسيين الأمير عبد القادر

تتقاسم الجزائر وفرنسا جزءا هاما من تاريخ المنطقة من خلال موقعهما على طرفي حوض البحر المتوسط.

إن هذه العلاقة القديمة –الاستعمارية- التي كانت تربط بين فرنسا والجزائر، ينبغي أن تشكل لنا نبراسا للتغلب على التحديات الراهنة التي تواجهها شعوب المنطقة المتوسطية، وهذا يستدعي القيام بمبادرات جديدة لصالح الحوار السياسي والثقافي والتنمية المتبادلة.

كتابات أخرى حول شخصية الأمير في منظور الآخر

وعلى الرغم من تراكم الكتابات عن الأمير، إلا أننا لا نجد له ترجمة شخصية وافية في أية لغة، فالفرنسيون الذين اهتموا بالأمير ولا سيما بعد 1849، والذين يملكون عنه أكثر من غيرهم وثائق أساسية عن حياته وعلاقاته ومجالات تفكيره لم يكتبوا عنه إلا أشياء ترمي في الغالب إلى إثبات تفوقهم وا ٍثبات صداقة الأمير للفرنسيين بعد حربه لهم .وتجمع الدراسات التي ألفت حول حياة الأمير –أو تكاد- أن الجوانب الروحية والفكرية والاجتماعية ظلت مهملة.

ويعتقد الدكتور سعد الله أن " تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر" لمحمد بن الأمير عبد القادر[1].

[1] تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر. محمد بن الأمير عبد القادر، تحقيق وتعليق:ممدوح حقي.- بيروت، 1964 .

تعتبر حتى الآن أفضل ترجمة شخصية بالعربية عن الأمير، غير أنها تفتقر إلى المنهج، وتحتوي على كثير من المبالغات، الأمر الذي ينزع عنها صفة الترجمة الشخصية الجادة، بالإضافة إلى اعتماد الأمير محمد على نقول غير منتظمة من الكتب الأجنبية عن الأمير، إعجابا ببطولته الشخصية أو بمواقفه السياسية، أما الروح العلمية المجردة لدور الأمير سواء في الجزائر أو خارجها فلا وجود له بالعربية أيضا[1].

وجاءت ترجمة تشرشل للأمير جامعة لعدة جوانب إيجابية تفتقر إليها الأعمال الأخرى سواء كانت عربية أم فرنسية من وجهة نظر الدكتور أبو القاسم سعد الله، إلا أنها تنتهي بحوادث سنة 1864، وتظل تسع عشرة سنة من حياة الأمير غير واردة عن مصدرها الأصلي، وهو الأمير، ذلك أن هذه الترجمة كانت من إملاء الأمير عبد القادر كما يصرح ش.هـ. تشرشل في مقدمة مؤلفه :" أقمت في دمشق أثناء شتاء سنة 1859-1860 بهدف وضع عزيمتي موضع التنفيذ. ورغم أن عبد القادر كان شحيحا بوقته فقد رضي أن يمنحني مقابلة ساعة يوميا. وهكذا فتح المنجم أمامي. وبقي أن استخرج منه الخام. وقد فعلت ذلك مدة خمسة أشهر[2].

[1] حياة الأمير عبد القادر، ترجمة: د.أبو القاسم سعد الله.- (مقدمة المترجم)ص.9

[2] حياة الأمير عبد القادر، شارل هنري تشرشل، ترجمة: د.أبو القاسم سعد الله.- ص.36

و إدا كانت فرنسا قد اعترفت باستقلال الأمير ضمنيا على الأقل فإنها لم تحصل على الاعتراف بسيادتها على الجزائر وهو الأمر الذي كان يحرص عليه جميع المفاوضين الفرنسيين من ديميشال إلى بوجود ولم يسمع المقلقون الفرنسيون إلا أن يفسروا عبارة بين شعبين حكم الله عليها أن يعيشا تحت نفس السلطة[1] التي وردت في نص المعاهدة بأن ديميشال كان يرمي من ورائها إلى الحصول من عبد القادر على الاعتراف بالسيادة الفرنسية لأنه هذه السلطة في نظر ديميشال هي السلطة الفرنسية ولكن عبد القادر ونفسه كان يريد من العبارة نفسها أيضا "سلطة" الإسلام والمشيئة الإلهية وبعبارة أخرى السلطة التي يمد لها هو.

ومن الألفاظ التي اختلف فيها النص العربي والنص الفرنسي في هذه المعاهدة استخدام عبارة "قناصل" في النص الغربي وعبارة "ممثلين" في النص الفرنسي ولا شك أن عبارة قناصل كانت تعني عند الأمير أشخاصا يحميهم القانون العام يتكلمون باسمه لدى السلطات الفرنسية في الموانئ الثلاثة المذكورة وهي تعني من جهة أخرى أن هؤلاء القناصل هم كلا دولة مستقلة ذات سيادة يمثلها الأمير أما عبارة ممثلين أو ضباط الواردة في النص الفرنسي فلا تعني ذلك ومما يذكر أن ديميشال نفسه قد استخدام تغيير "قنصل" مما يدل على أنه كان يعني تبادل القناصل بين دولتين مستقلتين.

[1] أما صاحب "تحفة الزائر فيورد عبارة هكذا" بين شعبين اقتضت الإدارة الإلهية أن يكونا تحت سلطة واحدة.

ويتضح من دلك أنه بالرغم من حرص الفرنسيين على الحصول على اعتراف الأمير بسيادة فرنسا فإنهم لم ينجحوا بينما اعترفوا به هم كرئيس دولة مستقلة يتعاملون معه بالمثل في جميع الأمور السياسية والتجارية والقضائية و لدلك نجد تشرشل يؤكد على أن الأمير كان يحتفظ بالنص العربي الواضح ويعمل بمقتضاه أما السلطات الفرنسية فإنها حين عجزت عن الحصول منه على ما تريد لجاءت إلى التفسيرات وتحصيل العبارات ما لا تطيق مما تسبب من جديد في التوتر بين الطرفين واستئناف الحرب.

الخاتمة

لقد كانت حركة الأمير عبد القادر الجهادية ومحاولتها لبناء الدولة الجزائرية قوية، استجابة موفقة لتجاوز العجز الذي عاشه العرب والمساكين لعدة قرون، بعد أن تحطمت قدراتهم الذاتية، فمن حلل المعطيات التاريخ الجهادي يرى أن هذه تجربة كانت موفقة إلى أقصى حد برغم من قصر مدتها.

وبالتالي نستنتج من هذه الدراسات التي تمثلت في ثلاثة فصول تتحدث عن صور ة الأمير عبد القادر عند الألمان والإنجليز والفرنسيين مع ذكر أهم أحداث التي جرت في هذا الصدد وهي كالتالي:

اهتمام ألمانيا بالجزائر من جميع النواحي الطبيعية التاريخية السياسية والدينية والأدبية والطبيعية.

واهتمام الشخصيات الأجنبية بالأمير عبد القادر.

مساعدة الإنجليز للأمير عبد القادر بالعتاد العسكري سعادة على إكمال مشواره.

مقاومات الأمير عبد القادر مع الفرنسيين وعلاقته الدبلوماسية والمفاوضات التي جرت بينهم.

وفي الاخير أملنا أن نكون قد وفقنا ولو نسينا فيما اهتدينا اليه وإن اخطانا فهذا من بلغنا من العلم وخير ما نختم به قوله تعالى: «وما اوتيتم من العلم إلا قليلا» صدق الله العظيم.

قائمة المصادر والمراجع

أ. كتاب حياة الامير عبد القادر تأليف شارلز هنري تشرشل ترجمه أبو قاسم سعد الله.

ب.كتاب الجزائر في مؤلفات الراحلين الألمان 1830-1855.

ج. المجلة الجزائرية في الانثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية ترجمة كتاب عبد القادر لقوستاف دوفا 'أنموذجا' .

د. صورة وشخصية الأمير عبد القادر الجزائري من خلال شهادات بن عربية محمد، المجلد الثاني العدد 2، ص2021.

ه. صورة الأمير عبد القادر في كتاب الألمان لموريتش فاغنز وكارل بيرت.

الفهرس :

إهداء

شكر

مقدمة .....أ

مدخل.....02

الفصل الأول : صورة الأمير عبد القادر عند الألمان

المبحث الأول : نظرة العامة عند الأمير عبد القادر للألمان.....21

المبحث الثاني : كيف يقرأ الألمان الأمير عبد القادر 29

الفصل الثاني : صورة الأمير عبد القادر عند الإنجليز

المبحث الأول : النظرة العامة عند الأمير عبد القادر للإنجليز.....33

المبحث الثاني : كيف يقرأ الإنجليز الأمير عبد القادر 35

الفصل الثالث : صورة الأمير عبد القادر عند الفرنسيين

المبحث الأول : النظرة العامة عند الأمير عبد القادر عند الفرنسيين 41

المبحث الثاني : كيف يقرأ الفرنسيين الأمير عبد القادر 45

الخاتمة..... 50

قائمة المصادر و المراجع

الفهرس

الملخص

الملخص

إن نشاطه العجيب وحيويته و تفكيره الخلاق قد جعله يتغلب على صعوبات كان يبدو من المستحيل التغلب عليها ،وا إن سيفه منتصر سواء في ضربه العدو من الخارج أو خصومه من الداخل .

إن عبد القادر المحارب و الخطيب و الدبلوماسي ورجل الدولة ، تكمن أسرار قوته في عظمته العقلية .

الكلمات المفتاحية : موقف، استعمار، المفوضات، العلاقات، صورة الآخر.

Résumé

Son activité merveilleuse, sa vitalité et sa pensée créatrice lui ont permis de surmonter des difficultés qui semblaient impossibles à surmonter, et son épée a triomphé à la fois en frappant l'ennemi de l'extérieur et ses adversaires de l'intérieur.

Abdelkader Al-Harib, Al-Khatib, le diplomate et l'homme d'État, les secrets de son pouvoir résident dans sa grandeur mentale.

Mots-clés : position, colonisation, commissaires, relations, autre image.

Summary

His wonderful activity, vitality and creative thinking made him overcome difficulties that seemed impossible to overcome, and his sword was triumphant both in hitting the enemy from the outside and his opponents from the inside.

Abdelkader Al-Harib, Al-Khatib, the diplomat and the statesman, the secrets of his power lie in his mental greatness.

Keywords: position, colonization, commissioners, relationships, other image**.**